على الأرض مـا يسـتـحقّ البكاء!

□ بشرى البستاني

على الأرض ما يستحقُّ البكاءْ:
رحيلُك؛
صمتُ الأغاني التي أَشعلتْ شجري
فاستراب وغادرني؛
خفرٌ لؤلؤيٌّ؛
وإيقاعُ دائرةٍ ضاق ليلي بها؛
لغةٌ تتهجّد خارج سور القواميس،
غزلانُها لا تكف عن العدْو،
تكسرُ أوزانها،
تتداخلُ،
أنهارُها تتصارعُ،
تسري وتعرجُ،
تنهضُ،
تكبو،
تفوحُ،
وتشعلُ دغل المساءْ.

❖❖

على الأرض ما يستحقُّ البكاء:
غيابُكَ؛
بحرٌ يؤجّج نيرانَه للرحيلِ؛
وتيجان تلعنُ أصحابَها؛
زمنٌ يرتديه الطغاةُ؛
ونهرُ الحياة بريءٌ
بريءْ.

❖❖

على الأرض ما يستحقّ البكاء:
أناملُ شعِركَ غراءُ،
فتنتها في الليالي تسرّح شَعر المنى
وتشدُّ الغزالاتِ من خصْرها
فتدور الصحارى بقارورةٍ
وتلوب الطيورْ.

❖❖

على الأرض ما يستحقّ العذابْ:
غيابُك؛
غيمٌ يفتح أردانَهُ
في عيونِ السحاب.

❖❖

على الأرض ما يستحقّ البكاء:
رحيلُك؛
دمعُ الأغاني التي لا تحبُّ الوصولْ.
هل وصلتَ؟
أمْ أنّ النهايةَ، مثل البداية، موصدةٌ
والنوافذَ سكرى،
وأرض تدور بأمنيةٍ من عبيرْ؟

❖❖

على الأرض ما يستحقُّ البكاءْ:
غيابُك؛
بغدادُ مُزروعةٌ بالدماءْ؛
وقدسٌ تمدّ إليكَ سواعدَها
مطرًا من حنينٍ وبوحٍ
وبيّارةً أحرقتْها الرياحُ بأغنيةٍ
كنت فيها شهيدا.
غزالَ المنافي،
لماذا ذهبتَ بعيدًا
لماذا؟
وكنتَ جميلاً، مضيئًا،
أناملُ شعِركَ تزرع نخلاً عصيّاً،
قصيّاً،
بهيّاً
وتشرب منّا النخبْ.

❖❖

على الأرض ما يستحقّ البكاء.
بعيدًا،
قريبًا

تماهى الرصاصُ بوردِ البنفسجِ.
لا تطْلقوا الطلقاتِ لمقدمهِ،
أطْلقوا الوردَ،
والفجرَ
والقبّراتْ،
وافتحوا شُرفاتِ الرياحِ
لمن زرعتْه البلابلُ فوق ضميرِ السحابْ:
بيادرَ ماسٍ وحمى،
وموجًا من الذهب القرطبيّ،
وحقلَ زبرجدْ،
وغابًا من الوجدِ،
معتركًا بالذي لا يُطالْ..
تدفقُ أغنيةٍ،
والتصارعُ بين فضاءاتِ آخرِ بوحٍ
وبين لسان العربْ.
.....
رشيقًا كنهر الفراتِ،
رهيفًا،
وملتبسًا بالحياة..
يؤثّث هذا الوجودَ بوهج الجمالِ
ويطْلق فيه الكمنجاتِ
حتى التعبْ.
❖❖
حبيبي
يطير الحمامُ
يحطّ الحمامْ..
ويلقي عليكَ السلامْ..
وما بين لاعجتيْن أخاصرُ وردَ الجليل..
وألقي رذاذَ النجوم عليكْ..
فتنهضُ،
ترفع عنك الغصونَ،
وتأخذني من يديّ إلى باحة الرقصِ
تأخذ نخلَ العراق جريحًا.
وتحت دويّ الرصاصْ...
تلفّ بأغصان شعرِكَ خصري
فأفتحُ للريح صدري
وأمسحُ بالضوء وجنتكَ.
الموتُ يخجلُ منا
ويلقي عليك السلامْ.
.....
فنم يا حبيبي
ضفائرُ حبي عليكْ...
وزنبقُ قلبي
وسربُ يمامْ...
عليك غصونُ الكلام، حبيبي،
وغزلان تفتح أفقَ السماءِ
وتعدو حواليكَ،
تفتح دربًا إلى القدسِ
دربًا إلى الشمسِ
دربًا إلى وردِ دجلةَ..
للعجلاتِ،
المسلاّتِ،
دربًا لكنعانَ
للرقَم الحجرية تَحْفظ ضوءَ اللغاتْ..
لأسوار كلِّ الحضاراتِ..
كلِّ المعابر
يشدو نشيدك يا سيّدَ الأغنياتْ.
❖❖
على هذه الأرض ما يستحقّ الحياةْ:
عنادك هذا الجلالُ،
الجمالُ،
الكمالُ
البهيُّ العصيُّ.
هنيئًا، تحوّلتَ ضوءًا وعطرًا
وتعويذةً..
وانفلتّ من الأسر....آهْ!
❖❖
شجرُ الكوفةِ يبكي يا حبيبي،
شجرُ الكوفةِ ذبلانُ
على صدر الفرات.
وأبو الطيّب يجتاح الفلاةْ...
يرفع النخلَ،
يُظلّ الفارسَ العائدَ
ممشوقًا، مضيئا،
مرهفًا،
يفتح ورد الأفقِ
كي يدخلَ طفلٌ شارد اللفتة والنسمةِ
جذلان وظمآنُ
وحرّ وأسيرْ..
والبساتين حبيبي
تفتح الضوءَ لطفلٍ مستحيلْ..
شارةُ الإبداع تغريه بوردٍ عسليّ
وبرمّانٍ ولوزْ.
شجرُ الكوفة يبكي يا حبيبي.

الموصل

بشرى البستاني
شاعرة وناقدة من العراق.